

Strategy
W A T C H



المركز
الإستراتيجي

بعد مقتل سليمان: صفحة جديدة من الصراع في سوريا والعراق



تقدير موقف

11 يناير 2020

تقدير موقف



بعد مقتل سليمان: صفحة جديدة من الصراع في سوريا والعراق

مثلت تصفية كل من؛ قائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليمان ومؤسس كتائب "حزب الله" العراقية ونائب رئيس الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس (3 يناير 2020) حلقة من إستراتيجية تصعيد عسكري تنفذها كل من واشنطن وتل أبيب في المشرق العربي منذ نحو أربعة أسابيع، حيث جاءت تلك العملية عقب تصفية أمر الفوج الأول في اللواء (45) بالحشد الشعبي مرتضى جبار غيلان الخزعلي، أحد أبرز المقرين من قاسم سليمان، والذي تولى مسؤولية تأمين خطوط الإمداد الإيرانية على الشريط الحدودي بين العراق وسوريا قبل مقتله، وذلك في عملية قصف (29 ديسمبر 2019) استهدفت خمسة مواقع لكتائب "حزب الله" على جانبي الحدود السورية العراقية، وأسفرت عن مقتل ثلاثين شخصاً منهم ضباط بفيلق القدس الإيراني.

وجاءت تلك العمليات بالتزامن مع تصريح قائد هيئة الأركان الإسرائيلية الجنرال أفيف كوتسافي أن الوقت قد حات لإخراج الصراع مع إيران إلى العلن، والتحضير للسيناريوهات الأسوأ، مؤكداً أن: "كل الجبهات حولنا مشتتة، وفي كل واحدة منها تلقينا ما لا يقل عن إنذارين بالحرب فيما يتدفق السلاح بحرية من العراق ولا يمكننا البقاء مكتوفين الأيدي".

وفي تأكيد لتلك التوجهات صرح قائد سلاح الجو الإسرائيلي الجنرال أميكام نوركين (25 ديسمبر 2019) أن: "إسرائيل تحضر لمواجهة شاملة مع إيران بهدف التخلص من ترسانتها العسكرية في سوريا"، فيما يدور الحديث في الأروقة الأمنية والعسكرية بواشنطن حول فشل الإستراتيجية السابقة في ردع إيران عن الاستمرار في تعزيز قدراتها القتالية في العراق وسوريا ولبنان، ومنعها من تزويد الميليشيات الحليفة لها بصواريخ نوعية رغم الضربات الممنهجة التي تُشن ضد المواقع العسكرية الإيرانية في تلك البلدان.

وكان وزير الدفاع الإسرائيلي الجديد نفتلي بينيت قد أكد أنه: "ينبغي علينا الانتقال من العمل الوقائي إلى العمليات الهجومية كونها الطريقة الوحيدة لإخراج إيران من سوريا"، وأضاف: "نقول للإيرانيين: ستصبح سوريا بمثابة فيتنام بالنسبة لكم وستنزفون حتى تخرجوا قواتكم من سوريا"، وجاء ذلك التصريح بعد يوم من شن الهجوم الرابع في غضون أسبوع على مجمع عسكري أنشأه الحرس الثوري في البوكمال كمركز جديد لعملياته شرقي سوريا، وهي المرة الأولى التي تُستخدم فيها طائرة شبح أمريكية لتدمير البنية التحتية العسكرية لبلد آخر.

ووفقاً لمصادر أمنية مطلعة (13 ديسمبر) فإن المقاتلات الإسرائيلية قصفت منشآت إيرانية في محيط البوكمال، فيما استهدفت مقاتلات أمريكية منشآت أخرى شمال محافظة دير الزور، وذلك بالتزامن مع إرسال الولايات المتحدة حاملة الطائرات "هاري ترومان" قبالة الساحل السوري شرقي المتوسط، ترافقها؛ حاملة صواريخ كروز، وغواصة نووية من الأسطول السادس، وعدة مدمرات وضعت جميعها على أهبة الاستعداد للتحرك في حال قررت إيران تصعيد الموقف العسكري.

ويأتي ذلك التصعيد عقب رصد عمليات إيرانية غير معتادة في مناطق مختلفة بسوريا، أبرزها قيام وفد من الحرس الثوري الإيراني بزيارة محافظة السويداء، وبحث إمكانية إنشاء قاعدتين للطائرات المسيرة بهدف جمع المعلومات الاستخباراتية وشن هجمات ضد مواقع في الأردن وإسرائيل.

ودفعت تلك المعلومات بالولايات المتحدة لتعزيز قاعدتها في "التنف" بناء على طلب من الأجهزة الأردنية التي وردتها معلومات دقيقة حول نية طهران تأهيل مجمع البوكمال العسكري "قاعدة الإمام علي"، وحشد بعض القبائل الموالية لها في الأنبار لتشكيل ميليشيات موالية لها على طرفي الحدود السورية-العراقية، حيث وردت أنباء مؤكدة تفيد بتقديم الحرس الثوري الإيراني رواتب شهرية وأسلحة لشيوخ قبائل عراقية مقابل تعاونهم معها، حيث ترغب القوات الإيرانية في تأمين طرق جديدة لتهرب السلاح بالتعاون مع تلك القبائل لتفادي حملة القصف الجوي ضدها.

وعلى الرغم من نفي رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ضلوع بلاده في عملية تصفية سليمان؛ إلا أن الاستخبارات الإسرائيلية تلعب دوراً أساسياً في حملة التصعيد العسكري التي تشمل كلاً من سوريا والعراق، حيث أكد تقرير أمني (3 يناير 2020) أن مكتب نتنياهو قد تحول في الأسابيع الماضية إلى منصة تُعاد منها توجيه المعلومات الاستخباراتية الحيوية إلى خطوط المواجهة الأمريكية في العراق، حيث قدمت الاستخبارات الإسرائيلية معلومات دقيقة حول ما كان يدور داخل مراكز القيادة التابعة لسليمان ومراكز قيادة الحشد الشعبي التي يقودها أبو مهدي المهندس، وكانت المعلومات التي تم تلقيها من إسرائيل دقيقة بما يكفي لتمكين القاذفات الأمريكية من توجيه ضربات مباشرة استهدفت اللواتيين الخامس والسادس والأربعين التابعين للحشد الشعبي، وأدت إلى مقتل أبو علي الخزعلي.

ويسلط هذا المستوى من التبادل المعلوماتي النشاط الضوء على التعاون الوثيق بين الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، حيث يعتمد الجيش الأمريكي على المعلومات التي يتم تلقيها من تل أبيب، فيما يحصد ترامب فوائد العلاقة الحميمة التي طورها نتنياهو مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، حيث تحول مكتبه إلى مركز غير معن لتبادل الرسائل وتنسيق العمليات بين البيت الأبيض والكرملين.

ويؤكد التقرير نفسه أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قد استفاد من المعلومات التي حصل عليها من تل أبيب لصياغة إستراتيجية جديدة في الشأن السوري، حيث تبين له أن بوتين يُعدّ العدة للسيطرة على حقول النفط السورية وتسليمها للإيرانيين، وذلك لمساعدة طهران في التغلب على العقوبات النفطية التي فرضتها الولايات المتحدة على الصادرات النفطية الإيرانية، وذلك في مقابل اقتسام موسكو وطهران عائدات النفط لتمويل عملياتهما العسكرية في سوريا، وكان صندوق النقد الدولي قد قدر مبيعات النفط السوري عام 2010 بنحو 3.2 مليار دولار، إضافة إلى إنتاج 7.8 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي في العام نفسه.

وعلى خلفية التقارير التي تلقاها ترامب حول توجه موسكو لإنشاء منطقة حظر جوي بالتفاهم مع كل من أنقرة وطهران، وتمكين إيران من السيطرة على حقول النفط والغاز؛ قررت الإدارة الأمريكية قلب الطاولة على موسكو وإيران من خلال إرسال قوات أمريكية لاستعادة السيطرة على حقول النفط والغاز قبل وصول مهندسي الطاقة الإيرانيين للصيانة والتشغيل، وشن غارات جوية لمنع مافيات النظام من تهريب النفط شمال شرقي البلاد، وإيفاد فرق سعودية ومصرية إلى تلك المواقع لإعادة تأهيلها.

ووفقاً للتقرير نفسه؛ فإن الرياض أرسلت 400 عنصر من القوات الخاصة السعودية (16 ديسمبر) إلى حقل "العمر" النفطي لتأمين سلامة وفد مكون من؛ مهندسي شركة "أرامكو"، ومهندسين مصريين، ونحو 30 شاحنة قدمت من شمال العراق تحمل معدات حفر وتنقيب بالتعاون مع "قوات سوريا الديمقراطية".

وترغب واشنطن في تأهيل تلك الحقول والاستفادة من ريعها لتحقيق عدة أهداف تتمثل في: تغطية تكاليف بقاء القوات الأمريكية، وإعادة تأهيل قوات "قسد"، وتطوير البنى التحتية في إقليم الحكم الذاتي الكردي، ومنع النظام من الحصول على أية إيرادات من النفط، الأمر الذي أغضب بوتين من جهة، ودفع بمستشارة بشار الأسد، بثينة شعبان، للتصريح بأن حكومة نظامها تنظر في احتمال رفع قضية على الولايات المتحدة لسرقتها نفط سوريا من جهة ثانية.

ودفعت تلك التطورات بكل من إيران وروسيا لإجراء مناورات "حزام الأمن البحري" (27 ديسمبر 2019) بالاشتراك مع الصين في الجزء الشمالي من المحيط الهندي والتي انطلقت من ميناء "تشابهار" بإقليم سيستان جنوب شرق إيران، لفك العزلة الدولية التي تفرضها واشنطن على إيران، حيث أكد مساعد شؤون العمليات في القوات البحرية للجيش الإيراني الأدميرال غلام رضا طحاني أن: "المناورات أثبتت أنه لا يمكن عزل إيران".

وفي مناورة يُقصد بها تحدي واشنطن؛ قام بوتين بزيارة مفاجئة إلى دمشق (7 يناير 2020) حيث تباحث مع بشار الأسد بشأن: "استعادة كيان الدولة ووحدة الأراضي السورية"، وذلك بالتزامن مع وصول سفينة الصواريخ التابعة للبحرية الروسية "مارشال أوستينوف"، والتي أرسلت إلى الساحل السوري دون تخطيط مسبق، للتعامل مع احتمال وقوع مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة وإيران، حيث تم تكليف عناصرها بمراقبة المجالين الجوي والبحري في شرق البحر الأبيض المتوسط.

في هذه الأثناء؛ تُمعن واشنطن في تضيق الخناق على الاقتصاد اللبناني في مسعاها لتخليص بيروت من وطأة النفوذ الإيراني وفك قبضة "حزب الله" عن الدولة اللبنانية، وذلك وفق خطة يُشرف على تنفيذها مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى ديفيد شنكر، والتي تضاعف أثرها عقب اختفاء العملة الأمريكية من الأسواق، ورفض الملاك قبول الإيجار بالليرة اللبنانية، وامتناع المطاعم من قبول بطاقات الائتمان، وتسريح الصناعات الخدمية عدداً كبيراً من موظفيها أو تقليص أجورهم للنصف، فيما تعجز الدولة عن اللجوء إلى المؤسسات المالية الدولية نتيجة عدم وجود حكومة فاعلة عقب استقالة الحريري قبل نحو شهرين، وضغط واشنطن على صندوق النقد الدولي للامتناع عن مساعدة الاقتصاد اللبناني المتداعي.

وترغب واشنطن في توظيف الأزمات الاقتصادية التي تمر بها بيروت للتضييق على الفئات الموالية لطهران في لبنان، ودفع القادة السياسيين والدينيين للمطالبة بطرد إيران من معاقلها في بيروت، وفك قبضة حزب الله عن الجيش وعن النظام السياسي والاقتصادي، وتشكيل حكومة تكنوقراط قادرة على إخراج البلاد من مستنقعها الاقتصادي، وعلى فتح قنوات بديلة للتدفق النقدي من الولايات المتحدة ودول الخليج.

ويسهم التدهور الاقتصادي في لبنان بدوره في تعميق الأزمة السورية، حيث كانت البنوك اللبنانية تمثل ملاذاً لمخدرات تجار النظام، ما عزز انخفاض قيمة الليرة السورية وزيادة أسعار البضائع الأساسية بصورة غير مسبوقة، ودفع بشار الأسد للاستنجاد ببوتين ومطالبته بتقديم المساعدة قبل أن تثور موجة جديدة من المظاهرات الشعبية ضد حكمه على شاكلة ما يدور في بغداد وبيروت وطهران.

وتعتقد مصادر أمنية في واشنطن أن سياسة "الضغط القصوى" قد بدأت تؤتي ثمارها بالفعل؛ حيث قام "حزب الله" اللبناني بسحب قواته من سوريا فراراً من القصف الإسرائيلي، وتعزيز موقعه في لبنان على خلفية الحراك الشعبي، ولم يتبقى في سوريا سوى 1000 عنصر من الحزب، ونحو 800 عنصر من الحرس الثوري الإيراني.

ووفقاً لمصادر أمنية متعددة؛ فإن قاسم سليمانى كان مشغولاً قبل مقتله بالتعامل مع المخاطر المحدقة بالوجود الإيراني في المشرق العربي، حيث كان يعمل على تشكيل قوات محلية لتغطية النقص العددي في قواته، بهدف التفرغ لقمع الاحتجاجات الشعبية في العراق ولبنان.

وعلى أثر مقتله؛ أوعزت قيادة الحرس الثوري إلى قواتها بإخلاء مقراتها ونقاطها العسكرية في منطقتي البوكمال والميادين، وإعادة التموضع في منازل ضمن الأحياء السكنية، والتخفي بين المدنيين وتجنب الاجتماع مع بعضها البعض إلا في حالات الضرورة، فيما عززت القوات الأمريكية المتمركزة بدير الزور من تدابيرها، وأقامت حواجز أمنية جديدة وزادت من أعداد دورياتها.



Strategy
W A T C H



المرصد
الإستراتيجي

تقدير موقف

ورقة شهرية تتابع أهم تطورات الشأن السوري وتقدم التحليلات والتوصيات وآليات التعامل مع التحديات الطارئة.

11 يناير 2020

المرصد الإستراتيجي

بيت خبرة رائد في تقديم الخدمات المتخصصة للعاملين في المجالات السياسية والأمنية بالمنطقة العربية.

يعمل على تعزيز المفاهيم الاحترافية لدى الجيل الجديد من العاملين في الشؤون السياسية والأمنية في العالم العربي، ورفد صناع القرار بمعلومات نوعية بجودة عالية ومهنية تستند إلى الموضوعية والحياد والاستقلالية، بعيداً عن مؤثرات الإيديولوجيا الطارئة ومعارك الاستقطاب الإقليمي.

www.strategy-watch.com